جمع التراث الشعبي اللامادي؛ تقنيات وتوصيات.

Collecting popular heritage and moral folklore: Tools and recommendations.

الدكتور شوقي زقادة

جامعة 8 ماي 1945 قالمة الجزائر

chaoukizeggada1@yahoo.fr

تاريخ الارسال23-04-2021	تاريخ التقييم02-06-2021	تاريخ القبول30-06-2021

الملخص: إن التحديات التي يعيشها المجتمع الجزائري على غرار باقي المجتمعات العربية في ظل التحولات الراهنة التي يشهدها العالم في سياق حركة العولمة، جعلت الحديث عن التراث مسألة بالغة الأهمية، ولاسيما في علاقته الجدلية مع الهوية المجتمعية. إن مسالة التراث تمثل عنصرا مهما في الحفاظ على توازن المجتمع، من خلال تقوية ارتباطه بأصوله، أي الحفاظ على هوية وخصوصية ذلك المجتمع. من هنا يأتي هذا المقال ليقدم للباحث في مجال التراث الشعبي مجموعة من النصائح والآليات والطرق المنهجية الحديثة التي يستخدمها من أجل الحصول على أكبر قدر ممكن من الموراد التراثية اللامادية قبل أن تندثر باندثار حامليها، وبخاصة في ظل المتغيرات الثقافية المعاصرة.

كلمات مفتاحية: التراث؛ التراث الشعبي اللامادي؛ الباحث الميداني.

Abstract : The whole world, the Arab societies including the Algerian society has witnessed the globalization movement. This movement has given much importance to the issue of heritage and its relationship with societal identity. The issue of heritage and its origins is very significant in maintaining the balance of any society. It serves well in preserving its identity and privacy. Therefore, this study would contribute to the field of cultural heritage by its specific research devices and modern methodological ways. This research also aims to collect as much as possible of the popular cultural heritage resources before they vanish especially with the current modern cultural changes.

Keywords: Heritage; Moral folklore; Field researcher.

*المؤلف المراسل.

مقدمة:

يمثّل التراث الشعبي أحد الروافد الأساسية للحفاظ على هوية أي أمة من الأمم ومصدر اعتزازها بذاتيتها الحضارية في تاريخها وحاضرها، ولطالما كان التراث الثقافي للأمم منبعا للإلهام ومصدرا حيويا للإبداع المعاصر، ينهل منه فنانوها وأدباؤها، وشعراؤها، ويشكل التراث الشعبي اللامادي أحد الركائز الأساسية للذاكرة الحضارية والثقافية للأمة الجزائرية، فقد أسهم في الحفاظ على تماسكها ووحدتها في كل المراحل التاريخية الحرجة التي مر بها المجتمع الجزائري، وبهذا فإن عملية جمعه تعد عملا اجتماعيا يتطلب مهارة جيدة في العلاقات الإنسانية من ناحية الباحث، كما تعد أيضا عملا علميا يتطلب مهارة ومعرفة منهجية يجب أن تتوافر فيه من أجل جمع ما استطاع من مواد ثقافية تساهم فيما بعد في فهم ثقافة وطبيعة هذا المجتمع، وقبل التطرق إلى معرفة عدة الباحث الميداني وجب علينا التعرف على ما قاله العلماء في مفهوم مصطلح "التراث".

1 . مفهوم التراث:

1.1- لغة: جاءت معاني مصطلح "التراث" في معاجم اللغة العربية كالآتي: « وَرَثَ: الوَارِث: صفة من صفات الله عزّ وجل، وهو الباقي الدّائم الذي يرث الخلائق ويبقى بعد فنائهم وأورثه الشّيء أبوهُ، وهم ورثة فلان، وورّثه توريثًا أي أدخله في ماله على ورثته وتوارَثْناه: ورثه بعضنا عن بعض قدمًا، وأورث الميت وارثه ماله أي تركه له، والتراث: ما يُخلّفه الرّجل لورَثته»[1]، فالتراث بهذه المعاني يدل على المتروك من قبل الآباء للأبناء من أموال، كما نَسْتَشِفّ منه دلالة البقاء.

أما في معجم "مقاييس اللغة" فقد جاءت اللفظة للدلالة على «الوِرْثُ والميراث: أن يكون الشّيء لقوم ثمّ يصير إلى آخرين بنسب أو سبب»[2]، وتختلف دلالة الموروث هنا عن الدلالة السابقة في كون هذا المفهوم لم يحدّده في الأموال فقط، بل يطلق على كل شيء كان ملكا لقوم ثم صار ملكا لقوم آخرين بحكم القرابة، أو بحكم الانتماء إلى منطقة واحدة، ليكون بذلك مجمل ما خلفه السّابقون للاحقين من سنن ونظام حياة بعاداتها وأعرافها وتقاليدها.

2 . 1 - اصطلاحا:

يعد "التراث" من المصطلحات التي نالت حظّها من الدّراسة لدى الكثير من الباحثين الذين حاولوا تقديم مفهوم جامع مانع لها، منها: أنه «ما تراكم خلال الأزمنة من تقاليد وعادات، وتجارب، وخبرات، وفنون، وعلوم في شعب من الشّعوب، وهو جزء أساسي من قوامه الاجتماعي، والإنساني، والسّياسي، والتّاريخي، والخلقي، ويوثّق علائقه بالأجيال الغابرة التي عملت على تكوين هذا التّراث وإغنائه»[3]، فيصبح التراث بذلك مجموع ما وصل على مرّ العصور من إنتاج الأجيال السّابقة، الذي يعدّ جزءًا لا يتجزأ من حياتهم اليومية؛ حيث يشمل معظم مناحي الحياة الاجتماعية والسّياسية والتّاريخية...الخ، كما أنّه يؤدي دورًا كبيرًا في تحقيق التّواصل بين الماضي والحاضر، والذي هو تواصل إنساني بالدرجة الأولى بين الإنسان والإنسان، وبين الإنسان والجماعة التي ينتمي إليها، ليكون التراث بهذا المفهوم «ظاهرة اجتماعية قادرة على تقديم تجارب وخبرات الأجيال السّابقة في تعاملها مع مواقف الحياة اليومية»[4]، وهنا لا يصبح التراث مرتبطا بالماضي فقط بل بإمكانه الاستمرار في الحاضر وبنائه والتطلع للمستقبل، وهذا لا يتحقق إلا بقراءة التراث قراءة واعية، وعليه فملاءمة التراث للواقع يعود أساسا إلى مدى وعْي النّاس وإدراكهم لمعطيات العصر، وكذلك توظيفه توظيفا إيجابيا بما يتماشى وأحداث الواقع، لأنّ «صلة التّراث بالواقع هي صلة توظيف وتنزيل، تنزيل التّراث إلى الواقع باعتباره نقلا عن الآباء والأجداد، مغروسًا في ذواتنا، يمثل أحد عناصر هويتنا التاريخية والحضارية وذلك بعد إعادة صياغته وبنائه ثم تجاوزه لإنشاء تراث جديد في الواقع.

ويعني التّراث أيضًا: «الموروث الثّقافي والاجتماعي والمادي، المكتوب والشّفوي الرّسمي والشّعبي، اللّغوي، وغير اللّغوي، الذي وصل إلينا من الماضي البعيد والقريب... بكل مقوماته الثقافية: كعلم الأدب والتاريخ واللغة والدّين والجغرافيا... الخ، والاجتماعية: كالأخلاق والعادات والتقاليد، والمادية: كالعمران، بالإضافة إلى أنه يضم التراث الرسمي والشّعبي والمكتوب والشّفوي، واللغوي وغير اللغوي»[5]، وهذا مفهوم شامل للتراث، لأنّه يشمل جميع مجالات الحياة، ولا يقتصر على جانب معين فقط، فهو: « ذلك المخزون الثّقافي المتنوع والمتوارث من قِبل الآباء والأجداد، والمشتمل على القيم الدّينية والتّاريخية

والحضارية والشّعبية بما فيها من عادات وتقاليد سواء أكانت هذه القيم مدوّنة في كتب التّراث أو مبثوثة بين سطورها، أو متوارثة أو مكتسبة بمرور الزّمن»[6].

من خلال المفاهيم السّابقة يمكن استنتاج أنّ التراث هو ذلك الكل الذي يشمل نِتاج شعب أو جماعة عاشت في زمن مضى، أو هو خلاصة ما خلّفته الأجيال السّالفة للأجيال الحالية في جميع المجالات الأدبية والتاريخية والاجتماعية...الخ، وهذا ما تجسّده النصوص الإبداعية، والبقايا الأثرية، والعادات والمعتقدات الشعبية، ومختلف الظواهر الثّقافية التي تميّز مجتمع عن آخر، إنّه بمثابة الخزانة الأمينة للأمة أو بطاقة الهوية الحضارية للمجتمع الإنساني، ومن هذا المنطلق لابد للشعوب أن تَعِي تراثها وتسعى إلى إحيائه وحمايته من الضّياع والاندثار والنِّسيان خاصة في ظل تحدّيات العولمة والتطور التكنولوجي الكبير الذي يشهده العالم، على اعتبار أنّ الموروث يمثل مرجعية تحمل الكثير من الأبعاد التّاريخية والنّفسية والاجتماعية والسّياسية والثّقافية لمرحلة زمنية معينة.

2 . أقسام الموروث: قسَّم الباحثون التّراث إلى قسمين، هما: التّراث المادي، والتّراث اللامادي.

2 . 1 . التراث المادي: وينقسم إلى:

أ- التراث المادي الثابت: ويتمثل في المواقع والمعالم الأثرية، ومنها: المباني الدينّية كالمساجد والكنائس والزوايا، والمباني العسكرية كالسّجون، والمباني التّاريخية كالقصبة مثلا، والقصور والمدن، والقرى والمجتمعات السّكنية التّقليدية، أي أنّه يشمل منجزات الإنسان التي لا يمكن نقلها من مكانها الأصلي.

ب- التراث المادي المنقول: ويتمثل في «القطع المنقولة والتحف الفنية النّاتجة عن الاستكشافات، والأبحاث الأثرية في البر وتحت الماء ومنها القطع الخزفية والفخارية والكتابات الأثرية والعملات والأختام والحلي والألبسة التّقليدية والأسلحة وبقايا المدافن والمخطوطات ووثائق الأرشيف»[7]. وعلى العموم فإن التراث المادي يشمل العناصر الملموسة والحسية التي بقيت محافظة على شكلها عبر الزّمن.

2 . 2 . التراث اللامادي (المعنوي):

يتجلى التراث اللامادي في «كافة المظاهر غير المادية وغير الملموسة لمختلف تشكّلات وتنويعات التراث الإنساني باعتباره الثقافي الممارس الحي والمنتقل عبر الأجيال من خلال حاملي وممارسي عناصره الأساسية»[8]، ومن هذه المظاهر:

أ . **فنون قولية:** وتضم أشكال التعبير الشفوي مثل: الشّعر الشعبي، والأغاني الشّعبية والقصص، والأمثال والألغاز والحكم... الخ.

ب . **فنون حركية:** كالرقص والتمثيل والألعاب... الخ

ت . **العادات والطقوس والمعتقدات والاحتفالات** وما يدور فيها من سلوك، وطرق اتصال وأساليب تعامل واتصال مع القوى الخارقة.

ث . **المعارف والمعتقدات:** وتضم المعتقدات الدّينية الشعبية، والمعتقدات بالجن والأرواح والمعتقدات حول قوى الطبيعة، والمعارف الطبية الشعبية، وغير ذلك من المعارف والمعتقدات الشعبية[9]، وباختصار فإنَّ هذا الصّنف من التراث يتكون من عادات النّاس وتقاليدهم، وما يعبرون عنه من أفكار ومشاعر يتناقلونها جيلا عن جيل.

3 . مفهوم الميدان:

الميدان هو المنطقة الجغرافية التي تسكنها جماعة بشرية، تكوّن فيما بينها وحدة ثقافية واجتماعية متكاملة، ولها خصائصها الثقافية المحلية، تتكون تلك الخصائص بتأثير البيئة الجغرافية، ولها نظامها الاجتماعي والقرابي المؤثر في سلوكات الأفراد، وعلاقاتهم فيما بينهم وبين غيرهم، ويتجلى ذلك في عاداتهم، وتقاليدهم، وحرفهم، ومهاراتهم، وشتى مظاهر حياتهم، وتكون هذه الوحدة في خصوصياتها نظيرا مقابلا لغيرها من الوحدات الأخرى، أو بعبارة أخرى هو «مجموعة عناصر لها خاصية أو عدة خصائص مشتركة تميزها عن غيرها والتي يجري عليها البحث والتقصي»[10]، ويتميز الميدان بما يلي:

1. يشكّل سكان الميدان وحدة اجتماعية متعايشة مع بعضها البعض منذ مدة زمنية طويلة.

2 . يتواصل سكان الميدان بلغة واحدة يفهمها الجميع.

3 . يشترك سكان الميدان في قيّمهم الدينية والأخلاقية، كما يشتركون أيضا في طموحاتهم وآمالهم وأحلامهم.

4 . يرتبط سكان الميدان ببيئتهم الجغرافية ارتباطا وثيقا، ويضعونها ضمن مقدساتهم.

5 . يشترك سكان الميدان في النشاط الاقتصادي الواحد، وربما يكون متقاربا كالزراعة والرعي، أو الصناعات الحرفية والتجارة.

6 . تأثر طباع سكان الميدان وتصرفاتهم بالبيئة الجغرافية التي يعيشون فيها.

4 . مفهوم الباحث الميداني:

الباحث الميداني هو الذي يذهب إلى الميدان (مجتمع الدراسة) ليقوم بجمع مختلف المواد التراثية اللامادية، ويعرف أيضا بأنه من «يقوم بوضع فرض مستوحى من قراءاته السابقة أو من ملاحظاته للمجتمع، ويقوم بالتأكيد من صحته بواسطة النزول إلى الميدان أو المجتمع أو الجماعة، ويحاول أن يلاحظ الظاهرة مثال البحث، ويجمع البيانات عنها بالملاحظة المباشرة أو غير المباشرة، والمقابلة الشخصية، أو بتوزيع قوائم الأسئلة، أو الاستبيانات التي يجاب عنها في حضوره، أو التي تملأ وتجمع باليد... ثم يقوم الباحث بتحليل البيانات»[11]، ويمكن أن يكون الباحث الميداني في مجال التراث الشعبي اللامادي في الصور الآتية:

1 . باحثا ميدانيا من أهل الميدان.

2 . باحثا ميدانيا غريب عن الميدان ولكنه رفقة أبنائه.

3 . باحثا ميدانيا غريب عن الميدان.

4 . مساعدا للباحث الميداني من أهل الميدان مثقف.

5 . مساعدا للباحث الميداني من أهل الميدان غير مثقف.

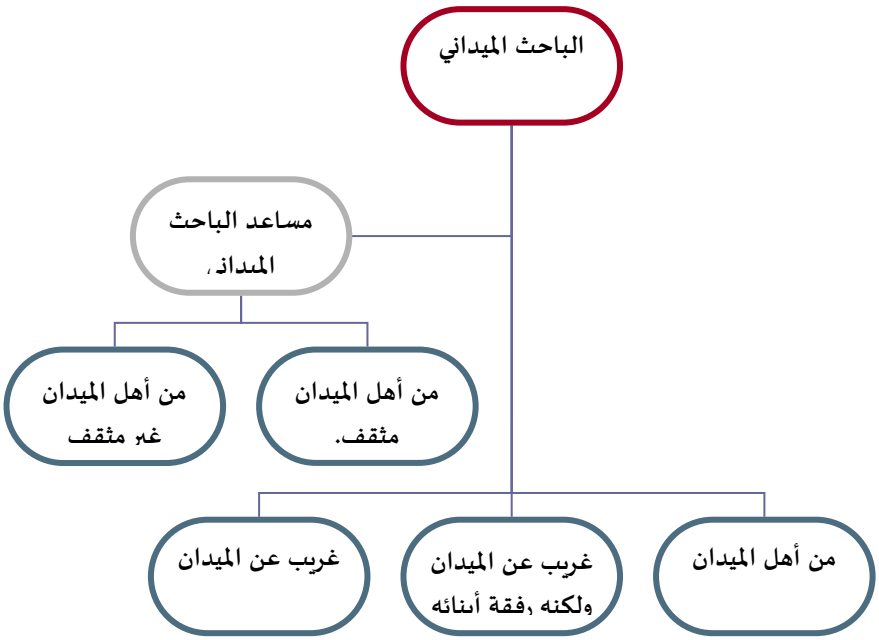

1 . الشكل (1): صور الباحث الميداني.

5 . صفات الباحث الميداني:

إن الباحث الميداني شخص متميز يملك صفات ومؤهلات لا يمكنه القيام بعملية البحث بدونها، لأن غيابها يفقد عمله الصبغة العلمية المطلوبة، من بينها[12]:

1 . يجب أن تتوفر للباحث الميداني مجموعة من المهارات الشخصية، والقدرات العلمية والتقنية، بالإضافة إلى القدرة على التواصل مع الآخرين، ويستطيع أن يألف الناس، وأن يكون مقبولا لديهم، قادرا على اكتساب احترامهم لنفسه ولعمله.

2 . يجب أن يكون حافظا لبعض المواد التراثية اللامادية كالأغاني الشعبية والحكايات والأمثال الشعبية وغيرها لكي يرويها للناس، وأن يكون قادرا على شرحها وتحليلها، مما يعطيها أبعادا جديدة ليست في متناول الفرد العادي، مما يساعد على إسعاد من يقوم بالجمع من عندهم، وهذا سيؤدي حتما إلى تحفيزهم على تقديم ما يعرفونه من مواد شعبية.

3 . يجب أن يكون قادرا على إدارة الأجهزة المعقّدة التي يستخدمها، وإصلاحها إذا استلزم الأمر ذلك.

4 . يجب أن يروّض نفسه على تقبّل كل الأطعمة والمشروبات التي تقدم له، وتحمّل الاستمرار في العمل لأيام دون نوم، بلا شكوى أو ضجر.

5 . يجب أن يكون على دراية تامة بالمناهج العلمية التي يحتاجها، وذا معرفة واسعة بالإطار الثقافي الذي يتعامل معه.

6 . على الباحث الميداني في مجال التراث الشعبي اللامادي أن يضع في اعتباره النقاط الآتية:

أ . يجب أن يجمع المادة . وأن يقدمها أيضا . على أنها أدب شعبي شفاهي.

ب . يجب أن يبحث عن منشأ هذه المادة التي يجمعها.

ت . يجب أن يجمع كل ما يستطيع معرفته عن المؤدين والرواة.

ث . يجب أن يجمع كل ما هو ضروري لفهم مضمون المادة الشعبية ومواطن الجمال فيها، مستعينا في ذلك بالرواة والمتلقين.

6 . عدة الباحث الميداني:

لا يمكن الباحث الميداني أن يقوم بعملية جمع المواد الشعبية اللامادية إلا بعد إجراءات أولية وتحضيرات منظمة ومضبوطة، يمكن حصرها فيما يلي:

6 . 1 . ما قبل الذهاب إلى الميدان: إن الإعداد الجيد للمقابلات هو مفتاح النجاح لعملية جمع المواد الشعبية اللامادية، ولذلك يشترط على الباحث الميداني القيام بما يلي:

أ . القيام بمسح تاريخي للمنطقة ميدان الجمع، ومعرفة الوقائع التاريخية المتعاقبة عليها، أو المؤثرات الحضارية التي أثّرت فيها.

ب . القيام بمسح جغرافي اجتماعي للميدان، وتحديد مجال حركة الأفراد الذين ينتمون إليه، وعدم الاعتماد بتاتا على التقسيم الإداري لتحديد جغرافية الجماعة الشعبية.

ت . إعداد خرائط ثانوية تحدد المناطق التي تحتاج إلى زيارات، لما لها من رمزية جغرافية أو تاريخية أو اجتماعية.

ث . التزوّد بالوسائل التقنية الآتية:

. 04 آلات تصوير رقمية مع ملحقاتها أو هواتف نقالة لها إمكانية التصوير الجيد.

. 04 آلات تصوير فوتوغرافي رقمية.

. 04 آلات تسجيل صوتي رقمية تحمل طاقة تخزين كبيرة.

. إعداد بطاقات فارغة تحمل المعلومات الآتية: اسم مشروع البحث، ومكان التسجيل، واسم الراوي أو المغني، وسنه، وجنسه، وتاريخ التسجيل، ونوع المادة، وتفاعل الجمهور، وشرح المفردات المحلية.

. الأدوات المكتبية المختلفة (أقلام، وأوراق، وكناشات صغيرة).

ج . اتصال الباحث الميداني بالجامعيين الذين سبقوه للمنطقة لتنفيذ مهام مشابهة، فهذا قد يوفر معلومات عن الرواة الجيدين وعن أسماء المسؤولين وقادة المجتمع المعني، ومن ثم يتمكن من الاتصال بهؤلاء القادة، ما يساعد على توفير معلومات عن المنطقة وترتيب الإقامة فيها وما إلى ذلك[13].

ح . تحري الباحث الدقة في اختيار الرواة الذين يجمع منهم مادته، وأن يهتم بكبار السن وممن لديهم استعداد للحديث.

6 . 2 . العمل التحضيري: وينقسم إلى مرحلتين:

أ . المرحلة الأولى: ينتقل الباحث إلى الميدان لمعاينته وخلق صلات اجتماعية ببعض السكان، ويجالسهم في المقاهي والأسواق والساحات العامة، ويندمج معهم، ويوافقهم في آرائهم ويشيد بجهودهم وبعبقريتهم، وبقدرتهم على استيعاب تراث أسلافهم، ويشعرهم بأنهم في حاجة إلى أن تنتقل هذه الثقافة إلى غيرهم ليستفيد منها الناس، ويتجنب الاستفزاز والانتقاد والحط من سلوكاتهم وتصرفاتهم، وبإمكانه أن يساعدهم في أعمالهم اليومية أثناء فترة إقامته، وبذلك يكون قد حدد المنطقة، وعرف نسبة لا بأس بها من رواتها وظروفهم وإمكانية الاستفادة منهم وهيأ أرضية العمل معهم.

ب . المرحلة الأخرى: الإعداد للرواية والتسجيل، وتكون في الزيارة الثالثة أو الرابعة بعد أن يألفه الناس، وتتم كما يلي:

. تهيئة وإعداد آلات التسجيل المرئي والصوتي، وتفتح قبل بدء الرواية الشفوية.

. وضع آلات التصوير بعيدا عن الراوي، وتثبيتها بحيث تكون إحدى هذه الكاميرات في مواجهة الراوي، بحيث تبدي ملامحه بدقة، وتثبت أخرى في ركن يغطي الجمهور أو المساحة التي يدور في فلكها هذا الراوي.

. يستطيع الباحث الميداني أن يكلّف مساعدا له . يفضل أن يكون من أبناء الميدان للقيام بتتبع الكاميرة، ورصد ما يراه مناسبا لعملية التصوير.

. وضع آلات التسجيل الصوتي بالقرب من الراوي، وأخرى بالقرب من الجمهور.

6 . 3 . التسجيل وتوثيق المعلومات: وفي هذه المرحلة لا يبدأ التسجيل إلا بعد أن يكون الجمهور الحاضر والراوي قد اعتادوا على الآلات، ثم توجه الأسئلة على الراوي مباشرة، أو يلجأ الباحث الميداني إلى استفزازه أو تحفيزه بعد نهاية روايته، عن طريق الإشادة بقدراته في الحفظ والإلقاء، ويكون هذا كله تحت عدسات الكاميرات وآلات التسجيل.

ويفضل امتناع الباحث الميداني عن مقاطعة الراوي، حتى وإن كان ما يقوله لا علاقة له بالموضوع، فليس هذا هو المكان ولا الوقت المناسبين للحكم على الرواية، إضافة إلى أن هذا يسيء إلى الراوي ويشتت أفكاره.

وقد تنشأ أثناء المقابلة ظروف تجبر الباحث على إيقاف التسجيل مؤقتا، مثل حدوث ضجة في الخارج تؤثر على نوعية التسجيل، أو دخول شخص ثالث إلى مكان التسجيل وتحول اهتمام الراوي نحوه، وفي هذه الحالات يوقف الباحث التسجيل، وبعد العودة إليه يشير إلى ذلك الانقطاع، وينصح بعدم توقيف آلات التصوير والتسجيل لمجرد أن الراوي تعثر أو تردد في سرد مواده التراثية اللامادية، أو لجأ للصمت، فهذا جزء من المقابلة لا يقل أهمية عما يقوله فهو يعبر عن حالته النفسية، ويُنصح أيضا بإغلاق الهواتف النقالة لكي لا تقطع تركيز الراوي.

وتجدر الإشارة إلى نقطة مهمة وهي أن الباحث الميداني جاء للمقابلة ليتعلم من الراوي لا ليعلمه، بغض النظر عن المستوى الثقافي أو الاجتماعي لكلا الطرفين، وبما أن هذا هو الغرض من المقابلة، فعلى الباحث أن يحسن الإصغاء للراوي، وان يركز اهتمامه عليه لا

على الآلات أو أي شيء آخر، نتيجة لهذا وجب عليه أن لا يحاول التأثير على إجاباته، سواء بطريقة مباشرة أو عن طريق الإيحاء.

والباحث الميداني الجيد لا يصر على قيادة الموقف، ويترك للراوي حرية اختيار المواضيع التي يريدها، بالترتيب الذي يريده، ولا يقيد الراوي بإطار زمني أو مكاني محدد، أو أن يجعل همه جمع اكبر كم من المواد التراثية اللامادية.

4.6 . نسخ المقابلات كتابيا:

تسجيل المقابلات في "خزانات الذاكرة" للكاميرات وآلات التسجيل الصوتي هو حفظ للذاكرة والروايات من النسيان والتشويه، لكن وجودها بهذا الشكل يبقيها قليلة الفائدة، لأن دائرة استعمالها تكون ضيقة، فالاستماع للمقابلة الشفوية أصعب وأكثر استهلاكا للوقت من قراءة المقابلة المطبوعة، ولهذا يفضل أن تعالج هذه المقابلات لتأخذ شكل المادة المطبوعة. ويجب على الباحث أن يدوّن كل شاردة وواردة مما يسمعه ويراه، ويشير إلى الحالة النفسية للراوي أثناء عملية الرواية، ويشير أيضا إلى حالة الجمهور وتفاعله مع ما يتلقاه من الراوي.

7 . الصعوبات التي يمكن أن تواجه الباحث الميداني:

تواجه الباحث الميداني أثناء عمله الكثير من المشاكل والعراقيل، فيجد نفسه مضطرا إلى مواجهتها وإلاّ كانت جهوده "في مهب الريح"، ويمكن ذكر بعضها في النقاط الآتية[14]:

1 . طغيان النزعة الاستهلاكية، فقد أصبح غالبية الناس ينظرون إلى كل شيء، وكل عمل بمنظار الربح والخسارة، مما يجعل الكثير من الرواة يحاولون التكسّب مما يحملونه من مواد تراثية شعبية.

2 . شعور الكثير من الرواة بالغربة في هذا العصر اللاهث، ودفعهم إلى الحديث يحتاج صبرا وخبرة؛ فالغالبية تشعر بعدم جدوى الحديث.

3 . طبيعة بعض الرواة الحذرة والمشككة، التي تجعلهم يحجمون أو يترددون طويلا قبل الموافقة على التسجيل.

4 . ضعف ثقة الراوي بالباحث الميداني، فإذا لم يكسب الباحث ثقة الراوي واحترامه فلن يحصل على شيء مفيد.

5 . صعوبة كتابة بعض الأصوات التي يستخدمها الرواة في رواياتهم الشفوية.

6 . اعتقاد بعض الناس بأن الباحث سيجني ثروة من المعلومات التي يقدمونها له.

7 . صعوبة الجمع أو النقل عن أشخاص تقف الأعراف والتقاليد حائلا بين الباحث وبينهم، فلا يستطيع رؤيتهم، ولا رؤية سلوكهم وممارساتهم وملامحهم وهم يقومون برواية موادهم التراثية اللامادية.

8 . يُغير بعض الرواة من سلوكهم وتصرفاتهم حين يشعرون بأنهم محط الأنظار، مما يستدعي صبر الباحث لفترة طويلة حتى يظهرون على طبيعتهم[15].

8 . طرق تجاوز الصعوبات:

يمكن تجاوز الصعوبات السابقة الذكر عن طريق:

1 . إقامة الندوات وعقد المؤتمرات وتفعيل دور المجتمع المدني من أجل تنوير الرأي العام ونشر الوعي بين شرائح المجتمع حول أهمية التراث الشعبي سواء كان ماديا أو معنويا.

2 . إدخال التراث الشعبي كموضوع دراسي في المناهج التعليمية في جميع المراحل الدراسية.

3 . تشجيع الباحثين والدارسين والمهتمين على الإكثار من الإنتاج العلمي في مجال التراث الشعبي، وتقديم الدعم المادي والمعنوي لهم.

4 . إسهام وسائل الإعلام والاتصال المختلفة (تليفزيون، إذاعة، مواقع التواصل الاجتماعي..) في إظهار قيمة وأهمية التراث الشعبي، وتعاون الجميع في هذا المجال.

5 . تأسيس مراكز للبحث في التراث الشعبي في مختلف أرجاء الوطن، وتعاونها مع بعضها البعض بما يخدم المجتمع ورقيّه.

6 . اطلاع الباحث الميداني المستمر على ما أستجد من مناهج علمية حديثة في مجال جمع المواد الشعبية وفهرستها، بما يتيح له استخدامها في عمله.

7 . عدم انقطاع الباحث عن زيارة أفراد الجماعة الشعبية الذين جمع منهم المواد التراثية الشعبية، بل ينظّم زيارات شخصية لهم، كما يجب عليه أيضا أن يُظهر نفسه في الأماكن العامة لتلك الجماعة الشعبية، لكي لا يفقد ثقتهم فيه من جهة، ولا يفقد صلته بهم من جهة أخرى.

خاتمة:

التراث تاريخ الأمم وهويتها، والأمة بلا تراث لا تاريخ لها، فهو الذي يحفظ ذاكرتها وماضيها، وهو الذي يحدّد وجودها من عدمه، وهو الذي يدفعها إلى التطور والتقدّم، لذلك وجب علينا المحافظة عليه والاهتمام به عن طريق جمعه من الميدان ودراسته وفق أسس علمية دقيقة، لأن البحث الميداني ليس بالأمر الهيّن، فهو من أصعب مراحل جمع ونقل ودراسة التراث الشعبي اللامادي، وبما أن الباحث الميداني يعد حلقة الوصل التي تنتقل من خلالها الثقافة إلى الأجيال اللاحقة، فإن عليه أن يكون دقيقا في إخراجها من عالمها التداولي إلى درجة الوعي البنّاء.

قائمة المراجع:

1. ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم، (دت)، لسان العرب، مج2، دار صادر، بيروت، لبنان.
2. إبراهيم، محمد عباس، (2009)، الثقافة الشعبية؛ الثبات والتغير، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، مصر.
3. إبراهيم، مروان عبد المجيد، (2000)،أسس البحث العلمي لإعداد الرسائل الجامعية، ط1، مؤسسة الورّاق للنشر والتوزيع، الأردن.
4. إسماعيل، سيد علي، (2000)، أثر التراث العربي في المسرح المعاصر، دار قباء، القاهرة، دار المرجاح، الكويت.
5. البكر، محمد مفلح، (2009)، مدخل البحث الميداني في التراث الشعبي، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، سوريا.
6. الضو، علي، (2012)، العمل الميداني بين النظرية والتجربة، مجلة الثقافة الشعبية، ع16 ، البحرين، ص12، ص 14.

7. المطور، عزام أبو الحمام، (2007)، الفلكلور؛ الموضوعات، الأساليب، المناهج، ط1، دار أسامة للنشر والتوزيع، الأردن.
8. أنجرس، موريس، (2004)، منهجية البحث العلمي في العلوم الإنسانية، ط2، دار القصبة للنشر، الجزائر.
9. بن فارس بن زكريا، أبو الحسين أحمد، (دت)، معجم مقاييس اللغة، تح:عبد السلام محمد هارون، ج6، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، سوريا.
10. جبور، عبد النور، المعجم الأدبي، (1984)، ط2، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان.
11. عزوق، عبد الكريم، (دت)، التراث الأثري؛ مفهومه، أنواعه، أهيمته، حمايته واستغلاله كثروة اقتصادية، معهد الآثار، جامعة الجزائر2.
12. كناعنة، شريف، (2011)، دراسات في الثقافة والتراث والهوية، ناديا للطباعة والنشر والتوزيع، رام الله، فلسطين.
13. مرسي، أحمد، (1975)، مقدمة في الفلكلور، دار الثقافة للطباعة والنشر، القاهرة، مصر.
14. معلا ، طلال، (2017)، التراث الثقافي غير المادي؛ تراث الشعوب الحي، مجلة أوراق دمشق، ع4، مداد مركز دمشق للأبحاث والدراسات، سوريا، ص2 ، ص15.
15. وتار، محمد رياض، (2002)، توظيف التراث في الرواية العربية المعاصرة، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، سوريا.

الهوامش:

(1) . ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم، (دت)، لسان العرب، مادة (ورث)، مج2، دار صادر، بيروت، لبنان، ص 199-201.

(2) . بن فارس بن زكريا، أبو الحسين أحمد، (دت)، معجم مقاييس اللغة، مادة (ورث)، تح:عبد السلام محمد هارون، ج6، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، سوريا، ص 105.

(3) . جبور، عبد النور، المعجم الأدبي، (1984)، ط2، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ص 63.

(4) . إبراهيم، محمد عباس، (2009)، الثقافة الشعبية؛ الثبات والتغير، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، مصر، ص69.

(5) . وتار، محمد رياض، (2002)، توظيف التراث في الرواية العربية المعاصرة، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، سوريا، ص 22.

(6) . إسماعيل، سيد علي، (2000)، أثر التراث العربي في المسرح المعاصر، دار قباء، القاهرة، دار المرجاح، الكويت، ص 40.

(7) . عزوق، عبد الكريم، (دت)، التراث الأثري؛ مفهومه، أنواعه، أهيمته، حمايته واستغلاله كثروة اقتصادية، معهد الآثار، جامعة الجزائر2 ، ص 3.

(8) . معلا ، طلال، (2017)، التراث الثقافي غير المادي؛ تراث الشعوب الحي، مجلة أوراق دمشق، ع4، مداد مركز دمشق للأبحاث والدراسات، سوريا، ص 2.

(9) . كناعنة، شريف، (2011)، دراسات في الثقافة والتراث والهوية، ناديا للطباعة والنشر والتوزيع، رام الله، فلسطين، ص 219.

(10) . أنجرس، موريس، (2004)، منهجية البحث العلمي في العلوم الإنسانية، ط2، دار القصبة للنشر، الجزائر، ص 298.

(11) . إبراهيم، مروان عبد المجيد، (2000)،أسس البحث العلمي لإعداد الرسائل الجامعية، ط1، مؤسسة الورّاق للنشر والتوزيع، الأردن، ص 37، 38.

(12) . ينظر: مرسي، أحمد، (1975)، مقدمة في الفلكلور، دار الثقافة للطباعة والنشر، القاهرة، مصر، ص ص162، 165.

(13) . ينظر: الضو، علي، (2012)، العمل الميداني بين النظرية والتجربة، مجلة الثقافة الشعبية، ع16 ، البحرين، ص14.

(14) . ينظر: البكر، محمد مفلح، (2009)، مدخل البحث الميداني في التراث الشعبي، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، سوريا، ص 100.

(15) . ينظر: المطور، عزام أبو الحمام، (2007)، الفلكلور؛ الموضوعات، الأساليب، المناهج، ط1، دار أسامة للنشر والتوزيع، الأردن، ص 122.